الشعر الأذري بين الرومانسية والواقعية الجديدة

(دراسة لنماذج لشعراء أذربيجان)

دكتور

نصر عباس

الجامعة العربية المفتوحة – الرياض

ثقافة أذربيجان وواقعها

مدخل

أذربيجان هي إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق ، خضعت للحكم السوفييتي منذ عام 1922م – 1343هـ ، ثم نالت استقلالها في عام 1991م – 1412هـ . يحدها من الشرق بحر قزوين ، ومن الغرب إرمينيا ، ومن الشمال الغربي جورجيا ، كما يحدها من الشمال روسيا ، ومن الجنوب إيران . عدد سكانها يتجاوز سبعة ملايين ونصف المليون . ومساحتها تتجاوز ستة وثمانين ألف كيلو متر مربع .

يمتاز شعبها بطيبة القلب وهدوء النفس وحسن العشرة ، وروح المحبة والمودة للآخر . كما تمتاز طبيعتها بجمال الخضرة الأخّاذة ، وبخيراتها الزراعية ، ومواردها من البترول والمعادن . واقعها الثقافي على مدى حقب متتالية ، كان يتسم بالنبض والحياة والحركة الفاعلة تمشّيا مع ما كانت تشهده الحياة بعامة من تطور كبير على أصعدة الواقع المختلفة ، وقد دخلها الإسلام – كما تذكر روايات المؤرخين – منذ زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

تذكر المصادر التاريخية أن معظم سكان أذربيجان الأصليين هم من الأتراك الأذريين ، بينما سكانها ، إلى جانب هؤلاء ، فئات مختلفة من الروس والكز والطالش والتات والتتار والأرمن وغيرهم . أما الأدب الأذري فقد كتب باللغات الأذرية والتركية والفارسية والروسية والعربية .

تقول المصادر المؤرخة لثقافة أذربيجان وآدابها إن الأدب الأذري كان قد كتب بداية باللغة التركية الأوغوزية . ويوضّح الدكتور إمام وردي حميدوف هذا الجانب بقوله :

" إن اللغة الأذربيجانية هي من اللغات التركية الأوغوزية ، وقد تطورت تلك اللغة بشكل ملحوظ أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر

تحديدا ، وكان أول مؤلف وصلنا مكتوبا باللغة الأذربيجانية القديمة هو ديوان " غزل "للشاعر عزّ الدين حسن أوغلو الذي عاش في القرن الثالث عشر " .
ثم يردف بقوله :

" إن أشهر الملحمات الأذربيجانية هي كتاب " داده كوركود " أو " داده قورقود " ، " أغوزنامه " و " كور أوغلو " المكتوبة باللغة التركية ، وكتاب " داده كوركود " تمت كتابته في القرن الحادي عشر ، وهو يصف الحوادث والعلاقات في طوائف أغوز " . (1)

لقد كانت البدايات الرائدة والمشرقة للأدب الأذري قد تبلورت ملامحها وسماتها مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي ، فقد كانت البداية الأولى لظهور نخبة من أعلام الأدب الأذري ، وعلى رأسهم الشاعر المشهور (نظامي كنجوي) ، 1141م – 536هـ ، لكن هذا الأدب شهد فترة انتعاش حقيقية في الفترة ما بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر الميلاديين ، وكان للشعر نصيب كبير من هذا الانتعاش ، إذ تعددت فنونه واتجاهاته ، وظهر أعلام كثر في الشعر الأذري على اختلاف أغراضه ، وبقي الشعر بهذا سيد الموقف ، حتى كادت فنون التعبير الأخرى أن تختفي في الفترة المذكورة .

ارتبطت نتاجات الشعر الأذري ، ومنذ بدايات إشراقاته الإبداعية ، بالحياة وظروفها في أذربيجان ، وبدا أن معظم شعراء الريادة تحديدا قد كانوا لسان حال فترة مهمة من تاريخ أذربيجان ، وبخاصة أن فترات متعددة منذ القرن الثاني عشر قد شهدت توترا وصخبا شديدين على أصعدة الحياة بعامة في أذربيجان مما فتح مجالا واسعا للشعراء والمبدعين لأن يعبّروا عن مواقفهم وآرائهم ورؤاهم الذاتية ، وتصوير آلام الناس وآمالهم في حياة آمنة مستقرة .

أما التشكيل الثقافي في أذربيجان ، ومنذ قرون خلت ، فإن ما يميزه هو هذا التمازج بين ثقافات ولغات متعددة ، كان لها كبير أثر في تحديد سمات

الواقع الثقافي وملامحه في أذربيجان ، فقد كانت تلك المنطقة مفتوحة على ثقافات العالم مما أدّى إلى حدوث هذه الخصوصية المشار إليها ، وقد أشار الدكتور رفيق علييوف إلى هذا الجانب تحديدا ، إذ يقول :

" إن الثقافة الإسلامية هي حصاد التقاء التأثيرات الحضارية المختلفة وتمازجها ، مع كونها ثقافة إسلامية من حيث الجوهر ، ثم بالتقاليد الأذربيجانية التركية الأصيلة القديمة وبتأثيرات الحضارات اليونانية ، والبيزنطية والفارسية ، بالإضافة إلى العناصر العربية التي قامت ، نتيجة امتزاج الإسلام والتقاليد القومية للعرب " . (2)

في تلك الفترة ظهرت نخبة من شعراء أذربيجان الذين حملوا لواء الريادة الإبداعية في آن ، واستطاعوا أن يبلوروا كثيرا من ملامح واقعهم ويصوروا مضامين فكره وثقافته بشكل مباشر وواضح ، من أولئك الشاعران (نظامي كنجوي) (3) و (فضولي البغدادي) (4) ، حيث قدّم كل منهما نتاجات شعرية كشفت النقاب عن الواقع المعيش ، وفصّلت كثيرا مما يزخر به من موروث وفكر وثقافة فكانت لكل منهما مكانته ودوره في تأصيل اتجاهات الشعر الأذري ، وهذا ما نلاحظه في متابعتنا لواقع التطور الذي حاق بالحياة الأدبية بعامة والشعر بشكل خاص . الدكتور حسين مجيب المصري يشير إلى الشاعر (فضولي البغدادي) الذي أسس مدرسة شعرية عرفت باسمه ، وتمتعت بشمولية الرؤية واتساع دائرة الثقافة الإنسانية فيها ، فيقول :

" كان أروع مثال للأدب ، وقد اكتملت أداته وتوفرت بضاعته ، وجمع أشتات العلوم ، واستقصى أطراف الثقافات ، فهو من نظم ونثر بالتركية والفارسية والعربية ، وتصرف في فنون الشعر جميعا ، واستفاضت شهرته بين الترك والفرس والعرب " . (5)

ارتبط الأدب الأذري بالإسلام فكرا ورؤية وقناعة منذ دخوله أذربيجان ، كما ارتبط هذا الأدب بالأدب العربي ، شعره ونثره ، وكان أن استوعب كثيرا من

مضامينه ، وفنونه واتجاهاته ، بل انعكست بعض ملامح الشعر العربي تحديدا ، من فصاحة وبلاغة وجمال تعبير ، وعمق معالجة ، على كثير من إبداعات الشعراء الأذريين . يقول الدكتور علييوف بهذا الصدد :

" استوعب الأدب الأذربيجاني تقاليد الشعر العربي ، فصاحته ، وبلاغته ، وشعوره بجمال الواقع المحيط ، ونرى نماذج كثيرة من شعر الشعراء الأذربيجانيين أدخلها ابن قتيبة في كتابه" الشعر والشعراء " ، وأبو فرج الأصفهاني في كتابه " الأغاني " ، ومنها القصائد العربية لإسماعيل بن يسار ، وموسى الشهوات ، وأبي العباس الأعمى ، وهم شعراء أذربيجانيون عاشوا في القرنين الأول والثاني " . (6)

على صعيد آخر نشطت الحياة الثقافية على تعدد مساراتها واتجاهاتها ومضامينها في أذربيجان منذ تلك الفترة ، وإن اتضحت معالم هذه الحياة بشكل أكثر عمقا وتنوعا منذ القرن الثاني عشر ، فقد ظهرت فئة عريضة من العلماء والمفكرين والفقهاء ، كما تعددت المراكز العلمية في مناطق مختلفة ، مثل تبريز وشاماخي وباخشوان وكانج وباكو وغيرها ، كما نشطت فنون العمارة والطب والسياسة وغيرها ، وإن بقي الشعر ذا خصوصية في التميز الإبداعي ، وبخاصة منذ ظهور رائد حركة التطور الشعري آنذاك وهو الشاعر (نظامي كنجوي) ، الذي سبق ذكره من قبل ، فقد نظم شعره بالفارسية بداية ، التي كانت قد تغلغلت في الحياة الثقافية بشكل عام في أذربيجان آنذاك ، وإن قدّم بعض الشعراء شعرهم بالتركية أيضا ، لتكون كلتا اللغتين عنوانا لبعض ملامح الحياة الإبداعية في أذربيجان في تلك الفترة .

إلى هذا الجانب تحديدا أشار الدكتور علييوف بالقول :

" لقد كانت التركية ظاهرة لغوية متميزة في تلك الفترة ، فاستعملت في ميدان التخاطب ، ومجال التجارة ، بينما قامت الفارسية بشؤون الأدب والشعر ، في حين اقتصرت العربية على العلوم الإسلامية المختلفة " . (7)

مما يجدر ذكره في هذا الشأن أن الإبداع الأدبي ، وباللغات كافة التي كتب بها في حقب مختلفة ، لم يكن بمعزل عن واقع الحياة السياسية والاجتماعية ، بل كان الأدب في فترات ما لسان حال هذا الواقع بمتغيراته كلها ، وبصخب الحياة فيه وتوترها ، وبخاصة حين كانت تشتدّ تلك الظروف حدة وقسوة ، ويحمل الإنسان عبء النضال ضد حكم قاس أو اضطهاد أو ما شابه ذلك ، من أجل حريته واستقلاله وأمنه . في مثل هذه الظروف التي مرت بها أذربيجان في فترات متعاقبة ، لعب الأدب دوره الريادي والنضالي المستهدف ، وقد ساعد على ذلك أن فئة من الساسة ورجالات الدولة في بعض الفترات ، كانوا يشجعون الأدب والأدباء ، بل إن بعضهم كانوا شعراء أو مبدعين ، ومن هؤلاء (شروان شاه) حاكم شروان في القرن الثاني عشر ، والتي تقع شمالي غرب العاصمة الأذرية باكو ، وتبعد عنها مائة وستين كيلومترا تقريبا وقد هيأ هذا كله لأن يتبوأ الشعر مكانته المرموقة ، ويحقق خطوات مهمة على طريق تطوره .

لقد ارتبطت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية بنخبة من الشعراء المبدعين منذ القرن الثاني عشر ، من أولئك رواد الحركة الشعرية في تلك الفترة – كما ذكرنا من قبل – (نظامي كنجوي) و (فلكي شرواني) والشاعرة مهستي شرواني ، لكن خارطة الشعر الأذري كان قد أصابها تغير جذري مهم مع بدايات القرن الثالث عشر ، حين بدأ العصر التيموري ، بعد فتح (تيمورلنك) أذربيجان ، ليبدأ عصر جديد على المستويات كافة فيها ، وبخاصة حركة الشعر الأذري ، فقد ربط المؤرخون بين شخصية (تيمورلنك) والشعر من حيث دعمه للشعراء وتشجيعه لهم ، بيد أن الشعر بعامة ، ونتيجة التغيرات الجذرية التي حدثت في واقع الحياة في تلك الفترة ، وما أصاب الحياة السياسية من توتر وصخب ، كان قد سار ضمن مسارات الرمز والدلالة الفنية ، وسيلة للتعبير الفني من ناحية ، وتحقيقا لمحاولات

الهروب من الواقع المأزوم ، وتجنب الوقوع في متاهات المباشرة والتقريرية في التعبير الشعري ، من ناحية أخرى ، ولا يخفى ما للرمز من مقدرة على الكشف عن مكنون النفس ، وإعطاء هامش من الحرية التعبيرية عند الشاعر ، مما يعطيه قدرة على التعبير عن رؤاه وقناعاته وآماله وآلامه بشكل منطلق ، لا تحده حدود في التعبير والتصوير

إن الرمز قد رافق كثيرا من الاتجاهات الفنية في الأدب ، فكان وسيلة التعبير الأساسية عند السيرياليين والدادائيين والبنيويين ، في بعض نتاجاتهم ، " لكنه بدأ يأخذ مناحي الإيهام والغموض في كثير من نماذج الأدب ، شعره ونثره ، في الواقع المعاصر " . (8)

من الشعراء الذين اتخذوا الرمز وسيلة تعبيرية وتصويرية عندهم (أوحدي مرغايي) (1274م – 1338م / 695هـ – 759هـ) ، وقد دعّم رمزيته الشعرية بالأساطير التي زخر بها موروث أذربيجان الإنساني ، فكانت الأسطورة مادة طيعة عنده ، ضمنها رموزه الواقعية ودلالاته المستهدفة ، فجاءت في قوالب تزخر بالحكمة الإنسانية ، والحكم الحياتية المهمة . ولعل توظيف الأسطورة والرمز في الشعر الأذري ، أن يكون صورة لما عمد إليه كثير من الشعراء في العالم أيضا ، وكذلك القاصين والروائيين ، مثل ت. س. إليوت في الأدب الغربي وبدر شاكر السيّاب وأدونيس في الأدب العربي " (9) ، وغيرهم كثير من الشعراء ضمن أطر المدارس الإبداعية المختلفة .

في الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر ظهر فن شعري رمزي جديد ، هو فن " الحروفي " ، وهو فن يعمد فيه الشاعر إلى النظم بحسب حروف الهجاء ، ليعبّر معها عن فلسفته الخاصة ورؤيته الصوفية . إن الرمز والأسطورة ضمن حدود هذا الفن قد تفاعلت مع الفكر الصوفي الوجودي ، وكان من أعلام هذا الفن ورواده شاعر أذري كبير ترك بصماته الإبداعية في أجيال تلت ، وهو الشاعر (عماد الدين نسيمي) (1370م – 1417م /

791هـ – 838هـ) ، الذي اتخذ من الإنسان محورا عاما ومطلقا ، للتعبير عن قداسته له ، واعتباره محور الوجود كله ، وأنه أساس التسامي والارتقاء بالكون ، وذلك من خلال الكشف عن مكنون نفسه السامية وأفكاره العظيمة ، التي اتخذ (نسيمي) من الشعر وسيلة لترجمتها وتجسيدها .

رومانسية الشعر الأذري

اتجه كثير من شعراء أذربيجان مع بدء نضوج الحركة الشعرية بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر اتجاها رومانسيا ، يعمد فيه الشعراء إلى التأمل والتصوير العاطفي ، والتركيز على الجاني الإحساسي الشعوري في الإنسان ، لكن ملامح الرومانسية تبلورت بشكل كبير ومؤثّر في بدايات القرن الخامس عشر تحديدا ، مع ظهور شاعر كبير كان في نظر النقاد والمؤرخين أحد العلامات البارزة في تاريخ الإبداع الأدبي الأذري وهو الشاعر المعروف (محمد فضولي) الذي عرف (بفضولي البغدادي) ، وقد ورد اسمه من قبل ، فقد أسّس هذا الشاعر مدرسة في الغزل عرفت باسمه ، " ويعد هذا الشاعر علامة مميزة في أذربيجان بشكل عام ، ويعود ذلك إلى التنوع في الإبداع الأدبي ، وتعدّد نتاجاته ، فقد كتب الشعر والنثر ، وكان نتاجه قد ظهر باللغات التركية والفارسية والعربية ومن كتاباته المهمّة رسالة فلسفية في الاعتقاد بعنوان " مطلع الاعتقاد " ، التي كتبها باللغة العربية " . (10)

لقد نجح (فضولي البغدادي) في توظيف شعره خدمة لواقعه الحياتي ، فكان عطاؤه مادة ثرّة زخرت بمضامين فلسفية ونفسية ، وبقضايا اجتماعية ، حمل عبء التعبير عن معاناة الجماهير في ظلها بشكل مباشر ، فكان يؤدي دوره الاجتماعي والثقافي من خلال شعره ، ولعل مثل هذا الدور هو ما نوه بحتميته كثير من النقاد ، في إشاراتهم إلى أن الفنان الحق أو الأديب المبدع ، حين يؤلف عملا ما فهو إنما " يبدو أنه يضمّنه جماعته غير المنظورة ، أو ينقل جسّا ونبضا لمجتمع برمته " (11) ، أو لعل ذلك أن يكون دور

الأديب الملتزم ، " مهما اختلفت رؤيته لواقعه الحياتي ، أو اختلفت طريقة تصويره وتناوله ومعالجته له " . (12)

لقد تأثر كثير من الشعراء الأذريين في القرون اللاحقة بمدرسة (فضولي البغدادي) الرومانسية الغزلية ، وإن جنح بعضهم إلى التجديد والتغيير ، مثل الشاعر (شاكر شرواني) ، الذي اتخذ من الوصف والتصوير أساسا للتعبير في شعره ، وقد ظهر في القرن الثامن عشر ، ومن ثم الشاعر (مهجور شرواني) ، الذي ظهر في الفترة ذاتها ، وإن كان إبداعه قد تبلور بشكل أعمق في مجال القصة .

وفي جانب آخر ظهر فن شعري بعنوان " قرايلي " ، وهو امتداد لفن " العاشق " الذي دارت القصائد فيه حول محاور النسيب والتشبيب والغزل بالمقام الأول .

ومع بدايات القرن السادس عشر بدأ تغير مهم يحيق بالواقع الأدبي الأذري ، واستمرت وتيرة التغير على سرعتها حتى أواخر القرن السابع عشر ، ذلك بظهور الاهتمام بتوظيف التراث والفولكلور الأذري ، فقد اتّجه شعراء متعددون ، في تلك الفترة ، إلى الموروث الشعبي في أذربيجان ، واتخذوا من مضامينه موادّ لنتاجاتهم ، يسقطون عليها واقع حالهم الآني ، ويضاهونه به ، ويتخذون من هذا كله معادلا موضوعيا لما يجري في الواقع الحياتي ، على الصعد المختلفة ، وقد نجح بعض هؤلاء الشعراء في توظيف التراث بشكل عميق وصادق وبديع ، ظهر في قدرتهم التعبيرية والتصويرية في الشعر ، مما ولّد فنا جديدا عرف بفن الشعر الشعبي ، الذي جاء ضمن أطر التعبيرات الرومانسية كذلك .

إن إعادة صياغة التراث الشعبي ، وعرضه بلغة عصر جديد ، ورؤية أدبية جديدة ، وبرموز جديدة أيضا ، وبإسقاط على واقع الحياة – كما ذكرنا – إنما هو أحد دعائم الإبداع الأدبي عند من يجيدون استخدام هذا الجانب ومعالجته

من الأدباء ، بشكل عام ، وقد تطورت وسائل الأدباء – على مستوى آداب كثيرة في العالم – في توظيف التراث والفولكلور تحديدا ، ذلك مع تطور الدراسات المعنية بذلك ، بدءا من القرن الثامن عشر ، حيث تعددت المصطلحات والنظريات في الأدب ، الخاصة بمعالجة التراث في الأعمال الأدبية ، كما قرأنا هذا عند بعض كتّاب مجيدين في العالم ، من الذين دارت دراساتهم وأعمالهم حول التراث ، وهم كثيرون من أمثال الأخوين (ياكوب وفيلهلم جريم) في ألمانيا . (13)

ومما لا شك فيه أن البيئة الأذرية ، بشريا وطبيعيا ومكانيا وفكريا ، – كما نوهنا بذلك من قبل – إنما تتسم بالجمال والروعة والطبيعة الخلابة ، وبسمات إنسانية على قدر كبير من الإشراق وهدوء النفس وطيبة القلب ، مما كان له كبير أثر في رسم خارطة الإبداع الشعري الرومانسي الأذري .

" إن الفن إجمالا ، والشعر بخاصة ، منفعل بانفعال الإنسان بالبيئة الطبيعية من حوله ، والبيئة الاجتماعية ، التي تحرك في بوتقتها ، متأثرا بما يطبع هذه البيئة أو تلك من سمات ومميزات بشكل عام . إن الفن بدوره ، وبوسائله الخاصة ، فاعل في الحياة الاجتماعية وتطورها ، لأنه مؤثر في الوجدان الإنساني ، فاعل فيه ، من جملة ما يعرض للإنسان من دوافع ومؤثرات " . (14)

يقف المؤرخون ودارسو الأدب عند القرن الثامن عشر في أذربيجان ، ويشيرون إلى أنه يشكّل مرحلة زاخرة بالعطاء والإبداع بشكل عام ، وفي مجال الشعر الرومانسي بشكل خاص ، ذلك لعوامل عدّة ، منها ظهور فئة عريضة من الشعراء في تلك الفترة ، كانت لهم بصماتهم الإبداعية المستحقة للتقدير والإشادة ، وفي جانب آخر كان هناك تطور كبير على الساحة الحياتية بشكل عام ، كما ذكرنا من قبل ، دفع لتشكيل مادة إبداعية استفاد منها أولئك الأدباء والشعراء ، يضاف إلى ذلك عامل مهم هو ظهور فنون

إبداعية متعددة أعطت مؤشرات لما حاق بالفنون الإبداعية من تطور وتقدم . فعلى صعيد الشعر ظهر شعراء مشهورون كثيرون ، منهم (ملاّ بناه واقف) (15) و (السيد أبو القاسم نباتي) والشاعرة (حيران خانوم) ، ثم الشاعر (عبّاس قولي أغا باكيخونوف قدسي) – 1794م – 1846م – وغيرهم ، كما ظهرت فنون شعرية جديدة ، منها فن " القوشمة " ، وهو فن التقطيع الشعري أو فن المقطعات الشعرية ، التي جاءت متأثرة بالمدرسة الأندلسية في الشعر العربي وبخاصة في مخمساته ، وإن اختلفت مضامين كل من المدرستين أو الفنين ، وطبيعة الأداء الشعري وأدواته الفنية عند كل منهما ، فقد اعتمدت (القوشمة) على نظم شعري في مقطعات تكون في الأغلب خمس مقطعات أو ستا ، بحيث تتفق قافية الأسطر الأربعة الأولى من المخمسات من الداخل ، بينما تتفق قوافي السطور الخمسة في المخمسات جميعها فتعطي هذه المخمسات ، في نهاية الأمر نغمة موسيقية جميلة ، مع تتابع تلك النغمة واستمرارها ، لتبدو لازمة مكرورة بشكل موسيقي أخّاذ .

كما ظهر فن " تجنيس " ، وهو شبيه بفن " القوشمة " ، لكنه يختلف عنه في أنه يعمد إلى الجناس بصفة خاصة والبديع بصفة عامة ، بالمقام الأول ، ولعل هذا الفن أن يكون موافقا ومماثلا لما قدّمه شعراء متعددون في البيئة العربية ، وبخاصة فيما قبل انبعاث حركة الشعر العربي الحديث ، إذ جاء الشعر في معظمه متحركا في قوالب من البديع العربي والجناس البلاغي بشكل خاص .

ومما يجدر ذكره في تناولنا لعطاءات القرن الثامن عشر تحديدا ، أن اهتماما كبيرا لدى فئة من الشعراء الرومانسيين آنذاك ، قد بدأ يأخذ طريقه في دنيا الإبداع الأدري ذلك بتوظيف الحلم ، عنصرا للتعبير والتصوير الأدبي ، إذ دارت بعض الأعمال حول فكرة الحلم ، أو منطلقة منها ، وليس خافيا أن الاهتمام بالحلم كان وسيلة فنية من وسائل الإبداع عند كثير من

الشعراء والأدباء في العالم قبل ذلك بقرون ، وبقي توظيفه وسيلة من وسائل كثير من أدباء العصر أيضا ، حيث جاء هذا الاهتمام نتيجة اتساع رقعة الدراسات النفسية والأبحاث التي تحاول الوصول إلى أعماق الإنسان الفرد ، وقراءة وعيه ولاوعيه ، ومضاهاة ذلك كله بالواقع المعيش .

" إن توظيف هذا العنصر يحتاج إلى حنكة ومقدرة ووعي ، وإدراك شمولي لدلالة الحلم ومغزاه ، وعلاقته بلحظات الحياة بعامة ، ماضيها وحاضرها ، ورؤية الإنسان المستقبلية حولها " . (16)

من الشعراء الذين نجحوا في توظيف الحلم في أعمالهم الشعرية ، عبّاس قولي أغا باكيخونوف قدسي ، الذي عرف بالشاعر (قدسي) (1794م – 1846م / 1215هـ – 1267هـ) ، في كتاب مهم له بعنوان " كتاب عسكرية " ، إذ نجح في رصد معالم الواقع النفسي للبطل من خلال عنصر (الحلم) ، وتابع ذلك في رصد علاقاته بنفسه ، وبالآخرين من حوله في قالب فلسفي بديع .

ومن أولئك الشعراء أيضا (ميرزا شفي واضح) (1794م – 1852م / 1215هـ – 1273هـ) ، الذي عرف في الأوساط الأدبية باسم (واضح) ، وكذلك الشاعر (إسماعيل بك كوتكاشيلي) (1806م – 1861م / 1227هـ – 1282هـ) ، وإن تميّز عن سابقيه في تضمينه شعره روحا واقعية ، وقد سار على نهجه شاعر كبير معروف هو (قاسم بك ذاكر) (1784م – 1857م / 1205هـ – 1278هـ) ، الذي نجح في بلورة كثير من سلبيات الواقع المعيش ، وفضح سلوكيات مجتمعية متعددة مشينة ومرفوضة ، بغية إحداث الإصلاح والتغيير الاجتماعي المطلوب للمجتمع والإنسان على حدّ سواء .

من العلامات المميزة للقرن التاسع عشر في أذربيجان ظهور شاعر وكاتب وروائي ومسرحي ومفكر معروف ، هو (ميرزا فتح علي أخوندوف) (

1812م – 1878م / 1233هـ – 1299هـ) ، حيث كان من أهم ما نادى به هذا المبدع هو وجوب الخروج من إسار مدرسة فضولي البغدادي الرومانسية ، التي استمر تأثيرها ، كما ذكرنا من قبل ، لقرون طويلة ، ذلك أن الشاعر المذكور أخوندوف وقد عرف (بأخونزادة) ، قد رأى حتمية توسيع رقعة الرؤية والتناول عند الأديب ، ليكون تناوله أكثر إنسانية وشمولية وإطلاقا ، ولهذا كانت رومانسيته أقرب إلى ما يمكن تسميته بالواقعية الرومانسية تلك التي تهتم بقضايا الإنسان المعاصر ، وتقف على معاناته ، وآلامه وآماله ، بغية تأسيس واقع أكثر إشراقا وألقا ، تحقيقا لسعادة الإنسان وأمنه وحريته وأمانه ولعل هذا كله أن يكون أحد الأسس التي استندت إليها فيما بعد الواقعية الجديدة ، كما سنلاحظ في معرض حديثنا عن هذا الجانب تحديدا .

لقد انحصر الشعر الأذري منذ نشأته – كما نوّهنا بذلك من قبل – وعبر قرون ، ومع مراحل تطوره ، في بعض الاتجاهات الفنية ، وإن كان الاتجاهان الأساسيان اللذان تبلورت معهما سمات هذا الشعر وملامحه ، هما الرومانسية والواقعية الجديدة . وبرغم تفاعل اتجاهات أخرى معهما ، كالرمزية والواقعية النقدية مثلا ، إلا أن ذلك لم يأخذ طابع الاتجاه المتكامل فنيا .

محاور الرومانسية في الشعر الأذري

ففي إطار الاتجاه الرومانسي في الشعر الأذري تحديدا ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، يمكن أن نتلمس بعض المظاهر والعلامات المميزة لهذا الاتجاه ، طوال مسيرة هذا الشعر ، وتحديدا منذ القرن الثاني عشر ، نجملها في فقرات متتابعة .

كان من شعراء هذا الاتجاه نخبة من المبدعين ، عالجوا قضايا الحب والغزل والعشق ، في قوالب إنسانية أو وطنية أو اجتماعية ، تباينت معها وسائلهم وطرائق تعبيرهم ، وأدواتهم الفنية ، من أولئك (نظامي كنجوي) و (

عماد الدين نسيمي) ، وقد نجح الشاعر(نسيمي) بشكل خاص في تعميق رؤيته الرومانسية من حيث الاهتمام بالإنسان ، فكرة ومحورا وجوديا وصوفيا ، دفع بالشاعر لأن يمجّده ويرتقي بكينونته بصورة اقتربت من التقديس ، إذ يقول في هذا الصدد :

" يا من تمجّد الحجارة
بالجوهر الفريد
أليس الإنسان أغلى الدرر
والجواهر في الوجود
بكماله وجماله ؟ " . (17)

في جانب آخر استطاع (نسيمي) أن يعالج في شعره قضايا فلسفية ذات روح شعبية ، فجاءت لغته بسيطة في لفظها ، سهلة في تعبيراتها ودلالاتها ، ولعل هذا أن يكون راجعا لطبيعة اللغة الجماهيرية في الإبداع ، التي يجب أن تتسم بمثل هذه البساطة والسهولة :

من أشعاره التي يمكن أن توضح هذا الجانب تحديدا قوله :

" يجب أن تقطع اليد التي
ليس فيها غير الشر للبشر
ألف تحبيذ ومرحى ليد
تصنع الخيرات وتعطي الثمر
وإذا الظالم لم يزرع سوى
بذر عدوان وظلم وفساد
هل سيجني غير عصيان وعنف
من بذور مثلها يوم الحصاد ؟
وبالفؤوس تقطع الأشجار
لتصبح فريسة للنار

أمّا التي ثمارها الرمّان
من زخمة الفأس لها أمان " . (18)

لقد ارتكزت الرومانسية في الشعر الأذري ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، على محاور أساسية ، من ذلك أن (الإنسان) قد أخذ طابعه الإنساني الشمولي المطلق فأصبح أقرب إلى كونه فكرة وقضية لا بدّ من تصوير آلامها وآمالها في آن معا ، ذلك في قوالب العاطفة الإنسانية المباشرة ، ، أو في إطار العاطفة الوطنية أو الاجتماعية ، حيث تضمن شعر بعض الشعراء مفاهيم وقيما اجتماعية وسياسية ، كانت نتاجا طبيعيا لما يشهده واقع الحياة من توتر وصخب ودعوة للحرية والاستقلال والعدل .

الشاعر (نظامي كنجوي) كان أحد رواد هذا الاتجاه ، واستطاع في شعره أن يتحرك بالشعر الأذري من إطار التقريرية والمباشرة في التعبير والتصوير لبعض المفاهيم الحياتية السامية ، ليقدّم نماذج شعرية في إطارها الأكثر ارتقاء بالحس العاطفي الرومانسي ، والتسامي بالإنسان في ظلها ، إلى أسمى مصاف ، مجددا في طرائق التعبير ووسائله ، ولعله كان موفقا في توظيف عنصر الحلم ، الذي سبق ذكره ، عنوانا للتجديد في الشعر الأذري في بعض مراحل تطوره . من نماذج (نظامي) الشعرية في هذا الصدد قوله في قصيدة له بعنوان سكندرنامه ، حالما بواقع يحفّه السلام والأمن :

" نعتبر بعضنا الآخر متساويا
ولا نشمت بدموع الآخرين
ولا نحترس السراق أبدا
لا حاكم في المدينة عندنا ولا حارس في الشارع
وترتع الأبقار والأغنام بلا رعاة
لا يغرينا العسجد واللجين
ولا يحتاج فيهما أحد " .

ولعل مثل هذه المعالجات الإنسانية ، ضمن أطر القيم والمفاهيم الإنسانية السامية تكون قد دفعت بعض الدارسين لتسميته بشاعر الفضيلة ، فهو برغم تركيزه على محاور العشق والغرام والغزل في معظم أشعاره ، إلا أنه كان " عفّ اللسان نظيفه ، وكانت شهرته الأساسية تعود إلى تفوقه في ميدان القصص الرومانتيكي " (19) .

وقد عبّر الدكتور محمد غنيمي هلال عن دور (نظامي) في الواقع الإبداعي الأذري ، وأهم خصائصه الفنية بقوله :

" هو من أوائل الشعراء الذين وضحت في أشعارهم نزعة التصوف الإسلامي الجمالية بالدعوة إلى الوصول لله عن طريق الهيام بالجمال ، فنظامي تعروه نشوة قوية على كل مظاهر الجمال الحسي ، ولكن نشوته أعظم بجمال الله ، والهيام بالعالم الآخر " .

ثم يردف بالقول :

" فهو عاشق وعابد ومفتون وزاهد ، ومتعلق بمظهر الجمال وتارك له ، عزوفا واحتقارا لأمور الحس المحض " . (20)

وفي تجسيد للحس الوطني ضمن إطار العاطفة الإنسانية ، قدّم (نظامي) عددا من قصائده التي تترجم هذا البعد بوضوح ، من ذلك قوله :

" حذار إنعام الملوك
ومن يخدم في الجيش ، قريب المنية
حذار كرم الملوك
وإلاّ تحترق كالمشاقة فورا
يغرينا ويفنينا الأكارم
مثلما تستميل الفراشات شعلة الشمع " . (21)

وفي الإطار نفسه عبّر الشاعر (واقف) (1717م – 1797م / 1138هـ – 1218هـ) عن رؤية إنسانية واجتماعية ، تدعو إلى القيم ذاتها ، وتأسيس مجتمع خال من الفساد والنفاق ، إذ يقول :

"إنما السلطان والدرويش في حدّ سواء
ابتلوا بالهم . أضناهم فراق وبلاء
جيفة الدنيا لها أنظار ترنو في اشتهاء
لم أجد في كل من صادفتهم إلاّ الرياء
كل من داعب سمعي كان كذبا وذميمة " .

ولم ينفصل محور العذاب والألم والتأمل في تلك الأشعار الإنسانية ، بل شكّلت هذه في مجملها أسس التعبير عند نخبة من شعراء الرومانسي في أذربيجان في حقب متتالية ، لكن بعض الشعراء استطاعوا أن يخرجوا من بوتقة هذا الحزن المحدود ، زمانيا ومكانيا ، ليجسدوا معه بعدا إنسانيا شموليا مطلقا . من أولئك الشاعر (رسول رضا) الذي عاش في القرن العشرين (ولد في عام 1910م – 1331هـ) ، وكان شعره أقرب إلى ما وصفناه مسبقا بالشعر الرومانسي الواقعي إذ نجح في تقديم لوحات إنسانية شفّافة ، نقرأ فيها إحساسات الإنسان الفرد وآلامه وآماله ، دونما توقف عند زمان أو مكان محددين . من أشعاره في هذا الصدد قوله :

" سواء أكان العمر طويلا أم قصيرا
لا أستطيع السير
على مهل
ما حاجتي إلى الراحة
طالما كان قلبي يهفو إلى الربيع
لست أريد ،
لست أريد ،

أن أظل في الصفوف الخلفية " .

ثم يتابع قوله ، معبّرا عن روح التفاؤل والأمل :

" أودّ أن أضحك من القلب
وأفرح من الأعماق
وأحتضن من أحبهم من الناس
بحرارة .
ومن ثم ، إذا اقتضى الأمر ،
أريد أن أموت
كشجرة بلوط ضخمة تصدعت في العاصفة
وتقطعت جذورها " . (22)

الواقعية الجديدة في الشعر الأذري

شكّلت الواقعية اتجاها فنيا في الأدب الأذري بعامة ، وفي الشعر بشكل خاص ، وقد سارت ضمن مسارات متعددة ، من أهمها الواقعية النقدية ، التي ظهرت بشكل أكثر عمقا في النتاج القصصي والروائي ، ومن ثم الشعري ، وإن لم ترق لدرجة الاتجاه الأدبي الخاص ، الذي يمكن أن نعتبره منحى فنيا في هذا النتاج ، ذلك على النقيض من الواقعية الاشتراكية " الجديدة " ، التي أخذت طابع الاتجاه الأدبي والفني القائم بذاته ، " من حيث عمق تأثير هذا الاتجاه في خارطة الإبداع الأدبي ، والشعر بخاصة ، في العصر الحديث ، إذ شكّل هذا الشعر ، على وجه الحقيقة ، انعطافا في مسيرته ، سواء أكان من حيث كم النتاج ، وعدد الشعراء ، أم من حيث شكل القصيدة ، وتركيبها الفني ومضمونها الفكري والإنساني ، ومدى ما كان لها من تأثير مباشر في بنية المجتمع والإنسان الأذري " . (23)

والواقعية بمفهومها العام في الأدب والفن ، وما يمكن أن نتلمس بعض ملامحه في الأدب الأذري ، إنما " هي تلك التي تشكّل موقفا فحواه أن يصور الأديب الحياة ، وأن يعيد رسم الطبيعة في كل أشكالها ، بكل إخلاص ممكن " .

لقد نجح بعض الشعراء في الأدب الأذري ، وعبر قرون خلت ، في تصوير واقع الحياة على أصعدتها المختلفة ، ولم يكن الأدب منفصلا عن هذا الواقع ، بل كان لسان حال التطورات والمتغيرات التي شهدها الواقع الحياتي في فترات متلاحقة من تاريخ أذربيجان السياسي والنضالي والاجتماعي ، واستطاع نخبة من هؤلاء الشعراء أن يضمّنوا نتاجاتهم نقدا لهذا الواقع ، " ويرصدوا سلبياته ومساوئ الرؤى والعلاقات فيه ، وخلل المفاهيم والقيم ، وتجسيد هذا الخلل الكامن في بنية الحياة والمجتمع ، فوظّف هؤلاء الأدباء والشعراء لغتهم وعواطفهم ورؤاهم من أجل التعبير عن مواقفهم وأفكارهم تجاه هذا كله ، وإن بقيت نتاجاتهم أقرب إلى المباشرة والتقريرية بل المنبرية " . (24)

لقد انحصرت نتاجات الواقعية النقدية في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والسابع عشر ، حيث سارت جنبا إلى جنب مع نتاجات الاتجاه الرومانتيكي ، بل إن بعض الشعراء الأذريين تحديدا ، وكما نوهنا بذلك من قبل ، قد جمعوا بين الاتجاهين في أشعارهم ، نتيجة توظيفهم لعنصر العاطفة الإنسانية والوطنية في قصائدهم ، مما دفعهم لتصوير الواقع المعيش ، وكشف سلبياته ، وفضح مساوئه.

وبرغم ما اتسم به النتاج الواقعي النقدي في الشعر الأذري من مباشرة ، إلا أن بعض الشعراء قد استطاعوا أن يعالجوا قضايا أمتهم وشعبهم ، في قوالب اتسمت بالعمق ، لغة وتعبيرا وتصويرا ، واتسعت رقعة التصوير عندهم لتأخذ سمة الإنسانية المطلقة ، من أولئك الشاعران (صابر) (1862م –

1911م / 1274هـ – 1323هـ) و (واقف) ، ومن نماذج الشعر عند الأول منهما قوله في أسلوب إنساني ساخر ، لكنه لا يخلو من نقد لاذع :

" ربنا شكرا على أعيانك المرد القساة
ربنا شكرا على من يملكون الطائلات
ربنا شكرا على من هم طواحين (بروح)
همّهم أكل وشرب ، ليس إلا في الحياة " .

في حين يقول في قصيدة أخرى :

" بينما الأمة في غفلة نوم وخيال
أنت كرّست مساعيك ، لتبقى في ضلال
بينما الأمة تزداد هزالا ، وشحوبا وضنى
زدت لحما ، واكتنازا وتخطيت المعالي " . (25)

في حين تتسع دائرة التعبير الإنساني عند (واقف) ، إذ يقول :

" كل صوت وصدى في هذه الدنيا جدل
وعلى الفتنة والمكر تنادى واشتمل
بغية الدينار والدرهم ما قد يشتغل
لم أجد للمقتدي والمقتدى حسن عمل
في العباد التبر ، في السادة عدلا وعزيمة " . (26)

وفي نموذج آخر يقول :

" أصبح العالم والجاهل والطفل الصغير
لنفوس الخسة الأمّارة اليوم أسير
أبطلوا الحق وقاموا بذا الجرم الكبير
الشيوخ اليوم خدّاع عبوس ، قمطرير
لم أجد في امرئ قط عبادات سليمة " . (27)

وبرغم التزام شعراء الواقعية ، معظمهم ، بالحس الاجتماعي في أشعارهم ، إلا أنه يمكن الإشارة إلى ملحوظتين ثنتين بهذا الخصوص ، الأولى منهما أن شعر هؤلاء قد انحصر في قوالب ذاتية مباشرة ، كما بقيت ذات طابع عاطفي فحسب ، يكتفي فيه الشاعر برصد جوانب السلب والمساوئ الاجتماعية ، دونما محاولة لطرح حلول للخلاص والتجاوز ، فبقي الشعر متحركا بل متقوقعا في حدود دائرة الرصد والتصوير المحدود لجوانب قاتمة وسلبية في المجتمع فحسب . وأما الثانية فهي أن بعض هؤلاء الشعراء ، ومنهم (صابر) و (واقف) ، قد تحركوا ضمن أطر اتجاه الواقعية الجديدة في بعض أشعارهم ، وإن لم تتبلور أبعاد هذا الاتجاه إلا عند شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين بشكل محدد ، بل إنها قد أخذت في المعالجات ، بعمق ، لغة وفكرا وتوجها ، بعد انطلاق الثورة البلشفية في عام 1917م – 1845هـ .

لقد اتخذت الواقعية الجديدة محاور أساسية لها في المجال التنظيري للاتجاه ، وعلى صعيد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي بعد ثورة البلاشفة ، ومن هذه المحاور " الإنسان " بوصفه فكرة وقضية ، ومن ثم فكرة الصراع الطبقي ، إضافة إلى فكرة الموت والتفاؤل ، وقد انعكست هذه المحاور بمضامينها ورؤى أصحاب الاتجاه فيها ، على النتاجات الإبداعية ، إذ أصبحت دوائر أساسية لتلك النتاجات شعرا ونثرا ، وحمل الأدباء في الاتحاد السوفييتي ، ومن ثم في دول كثيرة من العالم ، مسؤولية تجسيد تلك المحاور بوصفها أسس الوصول إلى عالم أكثر إشراقا لإنسان العصر ، يلفّه الأمل والتفاؤل والحرية والاستقلال ، والأمن والأمان

لقد غزت تلك الواقعية عقول الشباب في مناطق كثيرة من العالم وأفئدتهم ، لما حملوه في أعماقهم من حب التغيير والثورة والتمرد على واقع حياتهم الزاخر بالمعاناة والمأساوية والصراعات اليومية ، فكانت الواقعية الجديدة منطلق هؤلاء للتعبير عن مكنون أنفسهم من أجل واقع أكثر ألقا وإشراقا .

وفي تأريخ للواقعية الجديدة يمكن أن نشير إلى أنها انطلقت من مقولة الأديب الروسي الكبير (جوجول) ، الذي أشار فيها إلى أن الأدب الواقعي الحق إنما هو الذي " يتعالى على مألوف الحياة من متناقضات ، بل ينبغي أن يثور على ما فيها من فساد ، بل يعرضها بشكل ساخر أيضا " . (28)

كما أنها جاءت انطلاقا من توجهات بعض أدباء روسيا آنذاك ، ومفكريها وفلاسفتها ، الذين رأوا في هذه الواقعية وسيلة لتصوير نضال الطبقة العاملة البسيطة ضد النظام الرأسمالي ، وتجسيدا لفكرة رئيسة اعتمدها معظم كتّاب روسيا وشعرائها في بدايات ظهور هذا الاتجاه ، وأمثالهم في العالم ، التي نادت بضرورة " انبعاث النفوس المتحررة من الذعر أمام القمع الآلي الفظ ، أمام الأدوات المحرومة من المثل ، والتي لا تشبه البشر إلا من حيث المظهر ، بشر ضد بشر . إنسان ضد آلة " . (29)

لقد كان للواقعية الجديدة تأثير كبير ، أحسب أنه لم يحدث لأي اتجاه أدبي آخر في العصر الحديث ، وبخاصة منذ منتصف القرن العشرين ، وعلى مساحة دول كثيرة في العالم ، وقد أشار أرنولد هاوزر إلى طبيعة هذا الاتجاه الأدبي ، وإلى بعض سماته وخصائصه وتأثيره بالقول :

" إن الأدب الروسي كان قد انتقل من يد طبقة النبلاء المتعبة إلى يد طبقة صاعدة ، في نفس الوقت الذي كانت فيه الصفوة البرجوازية المثقفة في الغرب قد أصبحت منهوكة القوى ، شعرت بأنها مهددة بالقوة الصاعدة من أدنى " .

ثم يردف بالقول :

" ومن هنا تمكن الأدب الروسي من التغلب على ذلك السأم من الحياة ، الذي كان قد بدأ يظهر في كتابات النبلاء ذوي الميول الرومانتيكية . والرواية الروسية بالرغم من ألوانها القاتمة إنما هي تعبير عن روح تفاؤلية لا تقهر ، ودليل على الإيمان بمستقبل روسيا والجنس البشري " . (30)

وقد حدد كثير من كتّاب روسيا وأدبائها أهم أهداف أدبهم الواقعي الجديد في محاور النضال الثوري ، من أجل مواجهة التخلف والفقر والسلبية ومساوئ المجتمع ، ذلك بهدف تأسيس واقع أكثر اتزانا وأمانا ، من أولئك الأديب المشهور (ماكسيم جوركي) صاحب رواية "الأم " ، في مقولة له حول هذا الجانب ، ضمّنها رؤيته ، ورأيه الذاتي ، إذ يقول :

" إن على الكاتب الكبير أن يوجّه قارئه نحو هدف كبير ، هو التحرر من كل قوة ووحشية ، ومن كل أكذوبة ، ولن نحرر أنفسنا من جميع البشاعات والأكاذيب التي تشوه وجودنا ، ما لم نتعلم كيف نحب الإنسان ونحترمه ، بصفته أجمل ما تجلّى على الأرض من الأشكال ، وأكثرها إجلالا " .

ثم يردف بالقول :

" إنني بهذه العقيدة قد أتيت إلى الحياة ، وعندما أموت سأظل راسخا على رأيي الذي لا يتزعزع ، ذلك أنه سيأتي يوم يفهم فيه العالم أجمع ، بأن أقدس شيء على الأرض هو الإنسان " . (31)

ومما يجدر ذكره في مقام تأريخ الواقعية الجديدة في الفكر والثقافة والأدب ، أن مصطلح هذا الاتجاه كان قد عرف حين نوّه به (جوركي) في كلمة ألقاها ضمن فعاليات مجلس الكتّاب السوفييت في عام 1934م – 1346هـ ، حدّد فيها معنى الواقعية الجديدة وأهدافها ، برغم إرهاصات هذا الاتجاه منذ انطلاق ثورة البلاشفة ، كما نوهنا بذلك من قبل . فهو في هذا الصدد يقول :

" إن الواقعية الاشتراكية تنظر إلى الكينونة على أنها فعل ، وتعتبر الوجود نشاطا خلاّقا ، وهدفها نمو المواهب الفردية للشعب ، نموا دائما لا يتوقف حتى يستطيع أن يقهر قوى الطبيعة ، ويستمتع بالحظ السعيد الذي جعله يعيش على أرض يريد الإنسان فيها ، خلال استجابته للنمو المتواصل لاحتياجاته ، أن يجعل من كمالها مكانا رائعا لسكنى الجنس البشري الموحد ، في أسرة كبيرة واحدة " (32) .

وفي تعريف المعجم الفلسفي السوفييتي نقرأ تعريفا دقيقا ومباشرا للواقعية الاشتراكية " الجديدة " ، فحواه أنها " منهج فني يفترض مسبقا انعكاسا حقيقيا للواقع الملموس تاريخيا ضمن تطوره الثوري ، بدأت في طلائع القرن العشرين ، في ظروف أزمات الرأسمالية ، حيث تصاعد نضال البلوريتاريا والإعداد للثورة الاشتراكية في روسيا " .

ثم نتابع في التعريف ذاته :

" إن مهمات الواقعية الاشتراكية تعني امتلاك معرفة شاملة للحياة الإنسانية ، وتصيرها في صيغة فنية جيدة ، لهذا فإن الواقعية الاشتراكية المبنية على النظرة الماركسية اللينينية ، تساعدهم ليختاروا عدّة أشكال وأساليب تنسجم وميولهم الفردية " . (33) وعليه فقد ارتكزت الواقعية الاشتراكية ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، على أسس أصبحت محاور اهتمام كتّابها وأدبائها على مستوى العالم ، لكن مفهومي الالتزام بمعاييره الثورية والإنسانية والأخلاقية ، في جانب ، والارتكاز على مصداقية التعبير والتصوير ، في جانب آخر ، قد شكّلا بعدين اثنين مهمين في أدب الواقعية الاشتراكية ، وإن كان تحرك الأدباء الواقعيين الجدد بشكل أساسي قد ركّز على تصوير الصراع الطبقي ، والانتصار لطبقة العمال المطحونين في مواجهة ما يتعرضون له من قهر وتأزم واضطهاد وظلم .

لقد اهتم واقعيو الأدب الجدد على تأكيد مبدأ الحرية الإنسانية في المقام الأول ، وإن جنح بعض الأدباء ضمن هذا الإطار إلى التحرك في حدود الضرورة والحتمية ، تلك التي تقوم بعملية تقنين ، بل تحديد لحرية المبدع في بعض الأحيان وقد نوّه الدكتور محمد مندور بهذا الجانب بالقول ، موضحا الموقف الفلسفي الفكري لهذا الجانب :

" إن ما نسميه واقعا ليس إلا الصورة الذهنية التي لدينا عن الحياة ، فأي شيء لا يتخذ وجوده إلا في الصورة الذهنية التي لدينا عنه . ولمّا كانت هذه

الصورة ملكنا ، فنحن نستطيع أن نلوّنها باللون الذي نرى فيه مصلحة لأنفسنا ولمجتمعنا ، ونحن في حاجة إلى أن نقاوم عوامل الشر واليأس والتشاؤم ، وبخاصة بعد أن نجحت ثورتنا الاشتراكية ، وردّت إلينا ، بفضل نجاحها ، الثقة في أنفسنا والإيمان بأن في استطاعتنا أن نسيطر على مصيرنا ، وأن نتغلب على عوامل الشر والفشل " .

ثم يردف بالقول :

" ثم إنه لا يلزم ، لكي يوصف الأدب بالصدق ، أن يقصّ ما يحدث فعلا ، بل يكفيه أن يقصّ ما يمكن حدوثه ، وبذلك يصبح أدبا معقولا مشاكلا للحياة ، وبالتالي يصبح صادقا " . (34)

ضمن هذا الاتجاه ، فكرا وفلسفة ومفاهيم وتعبيرا ، تحرك عدد من شعراء أذربيجان ، حاملين النظرية ، محاولين تطبيقها في مجالات الإبداع الشعري ، فجاءت قصائد بعضهم كاشفة الستار عن قضايا الإنسان الأذري وهموم الوطن ، وآمال الجماهير وآلامهم ، فرصدوا مشكلات واقعهم ، ومعاناة الإنسان فيه ، وتأزمات المجتمع ، راصدين بعض ملامح سبل التجاوز والخلاص .

ولعل بدايات القرن العشرين تحديدا أن تكون بداية ظهور بعض نماذج شعرية في إطار اتجاه الواقعية الجديدة ، التي يمكن أن نصفها بالعمق ، لغة وتعبيرا ، وإن كانت إرهاصات هذا الاتجاه ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، قد ظهرت قبل هذا التاريخ ، فالشاعر المعروف (أخوندوف) (1812م– 1878م / 1233هـ – 1299هـ) ، على سبيل المثال ، قد قدّم أعمالا ضمّنها فكر الواقعية الجديدة سواء في أشعاره أو قصصه أو مسرحياته ، مثلما فعل في مسرحيتيه الشهيرتين " وكلاء شرقيون " و " حاجي قارة " ، وفي قصته الطويلة " الكواكب المخدوعة " ثم في رسالته الشهيرة " رسالات كمال الدولة " ، وغيرها من الأعمال . وقد سار على النهج ذاته أديب أذري

كبير هو نجف بك وزيروف (1854م–1926م / 1275هـ – 1347هـ) ، فقد عالج قضايا اجتماعية وإنسانية على نهج الواقعيين الاشتراكيين في معظم أعماله المسرحية والشعرية مثلما فعل في مسرحيته مصيبة فخر الدين ، ثم في مسرحيته " الحجر الآتي من الخلف يصيب القدم " .

شعراء الواقعية الجديدة

إلى جانب الحركة الرائدة التي نوهنا بها من قبل ، تلك التي قادها بعض شعراء أذربيجان في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بدأت تتبلور ملامح اتجاه الواقعية الجديدة مع ظهور نخبة من الشعراء تحديدا ترجموا مفاهيم الاتجاه وفلسفته ، وأهدافه في أشعارهم ، وكانت نتاجاتهم عنوانا لمسيرة هذا الاتجاه ، ولعبت دورا في التأثير في الأجيال التالية في أذربيجان ، كما كان لها تأثير في أوساط الإبداع الأدبي في دول أخرى من العالم.

في الفترة التي نشير إليها هنا ظهر الشاعر (عباس صحّت) ، الذي ولد في عام 1874م – 1295هـ ، في حين كانت وفاته في عام 1918م – 1339هـ . كان مولده في " شاماخي " وقد درس الطب في جامعات إيران ، وأجاد الفارسية والروسية والفرنسية والأذرية ، وكتب شعره بها ، وأجاد . وبرغم مسحات الرومانسية في بعض أشعاره ، إلا أنه جنح إلى استلهام مادة أدبه وإبداعه من واقع الحياة ومضامينها ، ومشكلاتها ، ومعاناة الإنسان فيها ، فقد

اتخذ من هذه جميعها محاور اهتمامه وتصويره وتعبيره . ترجم أشعارا لشعراء روسيا الكبار آنذاك ، من أمثال بوشكين و ليرمونتوف و كيريلوف وغيرهم .

ومن الشعراء الذين كانوا مماثلين للشاعر (عباس صحّت) في توجههم الرومانسي الواقعي (محمد هادي) ، الذي كان مولده في عام 1879م – 1300هـ ، في حين كانت وفاته في عام 1920م –1341هـ ، وإن تميز شعر هادي عن سابقه في تركيزه على محور أساس هو قضية الحرية بحسها الإنساني الشمولي العام .

ومن شعراء الواقعية الجديدة الشاعر المشهور (حسين جاويد) المولود في عام 1882م – 1294هـ في (نخشاوان) ، بينما كانت وفاته في عام 1944م – 1356هـ . ويعد (جاويد) أحد العلامات البارزة في الشعر الواقعي الأذري ، كما أنه واحد من كتّاب المسرح المتميزين أيضا . درس في تبريز وإستانبول وسالونيك ، وتعلم الفارسية والعربية بينما جاءت معظم نتاجاته باللغة الأذرية . من أهم أعماله المسرحية الشعرية " الشيخ سنعان " ، ثم مسرحياته إبليس و تيمور الأعور .

من أهم الأفكار التي طرحها (جاويد) في أعماله إدانته للحرب ، ومناداته بالسلام على الأرض بين البشر جميعا ، وقد اعتمد على التاريخ بوصفه مادة الإبداع عنده ، وبخاصة في مسرحيته " سياوش " سابقة الذكر

في عام 1899م كان مولد أحد شعراء الاتجاه الواقعي الجديد ومبدعيه في أذربيجان ، وهو الشاعر والقاص والمسرحي (جعفر جبارلي) ، الذي كانت وفاته في عام 1934م ، وقد قدّم نتاجات إبداعية متعددة ضمن إطار هذا الاتجاه ، برغم قصر مشوار حياته . من أهم أعماله المسرحية الماس وكذلك مسرحية " في سنة 1905م " ، التي وقف فيها على أحداث تاريخية حدثت في العام المذكور في عنوان المسرحية ، ومن أهمها الثورة الأولى في روسيا على القياصرة .

لقد نجح (جبارلي) في توجيه انتقاداته المباشرة والصريحة بل اللاذعة للأمراض الاجتماعية التي كانت تنخر آنذاك في عظام المجتمع والإنسان الفرد على حد سواء ، كما أنه وظّف شعره لمحاربة المفاهيم المغلوطة ، وما ساد المجتمع من أوهام وخرافات اجتماعية ، تسبّبت في انحدار المجتمع نحو هاوية الفقر والقهر والاستبداد ، وقد جاءت معظم أشعاره زاخرة بالفكر النضالي بهدف التأكيد على حرية الإنسان ونضاله ، من أجل تجاوز أزماته كما أنه من أكثر الشعراء الواقعيين في أذربيجان الذين ركّزوا على قضية تحرير المرأة وتعليمها بشكل أفضل .

لقد تعدّد نشاط جبارلي وتنوعت نتاجاته الإبداعية ، فقد قدّم نتاجا مسرحيا ، كما كتب مقالات في الأدب والنقد ، وكانت له قصائد شعرية أيضا ، إلى جانب نتاجه في مجال الكتابة للسينما والإخراج المسرحي والسينمائي والترجمة .

في قصيدته المشهورة (إلى الشرق المحكوم) ، يعبّر عن فكره الإنساني الشمولي ، وعن فكرة النضال من أجل الحرية والحياة الآمنة ، يقول :

" أيها الشرق ، بينما العالم يتصارع عليك ،
ويتقاسم السعادة بتقسيمك ،
وبينما يعاني أبناؤك من العبودية ، ويخوضون الصراع ،
ما زلت صامتا ، يا أيها المنكوب !
ترى ، ممن ترجو الغوث في محنتك ؟
كالراهب لا رغبة لك في الحياة
وكالظل تتحرك ، ولكن لا أنفاس لك " .

ويردف داعيا إلى التحرك والنضال من أجل الحياة الكريمة ، فيقول :

" إنك في المحبس ، ولكن دون قفص من حديد
لا يحطم قيودك الترحم ، ولا الاستغاثة .

هيهات ، فالعصر الآن عصر الحديد ، والبارود ! " . (35)

وتتعمق لغة (جبارلي) بصورة مشرقة ، وذات دلالة في التعبير ، لتصوير حالة الإنسان الخنوع المنهزم والسلبي ، وحثه على الحركة والثورة ، إذ يقول في إحدى قصائده :

" عندما تتحكم في الدنيا قبضة من الذهب
تدين كل أمة بحريتها إلى الرصاص
المدفع كلمة العصر الحقة ، وربه الرصاص
ولئن ظللت عاجزا ، فلن يحررك أحد
وسيمتلكك كل يوم جلاد جديد
أدر شمسك نحو النار ، وانطلق غربا وشمالا " .

إلى أن يقول :

" وخض النضال الحاسم بالمدفع وبما أوتيت من قوة
انتزع حقك ، أو مت أبديا ، لا محالة
وليرو الورود إما الدماء أو العدالة
وليعش ، إما البشرية أو العبودية " .

ومن شعراء الاتجاه ذاته (صمد يوسف أوغلي وكيلوف) المعروف بالشاعر صمد فورغون أو (صمد وورغون) ، المولود في عام 1906م – 1327 هـ ، والمتوفى في عام 1956م – 1377هـ . وظّف شعره كله للعبير عن أفكار أساسية ، منها التأكيد على حب الوطن ، وحتمية الدفاع عنه ، كما نادى بحتمية النضال والثورة في مواجهة قوى الظلم والطغيان والقهر في أي مكان من العالم .

كتب مسرحيات متعددة ، كما كانت له دراسات نقدية قيمة ، وقد كان عضوا في أكاديمية العلوم بموسكو . أما في حقل الشعر فقد قدّم نتاجا زاخرا وبديعا . من ذلك قصائده المطولة " أذربيجان " و " المفوضون الستة

والعشرون " ، التي نجح من خلالها في تقديم نماذج بشرية إنسانية عامة . من أهم أعماله بهذا الصدد قصيدته المطولة " كورس الموت " ، التي تحدث فيها عن المناضل البلغاري المعروف آنذاك ، وهو (ديمتروف) . كما أن له قصائد أخرى اكتسبت شهرة كبيرة في الأوساط الأدبية والنقدية في أذربيجان ، منها " الزنجي يتكلم " و "قراءة لينين " و " حامل راية العصر " .

من أهم القضايا الاجتماعية المحورية التي تناولها (فورغون) قضية المرأة ، ودورها وفاعليتها في التنمية والبناء ، وقد ركّز على دورها النضالي أيضا ، ومدى قدرتها على تفعيل دور الثقافة والوعي الفكري في مواجهة قوى البغي والعدوان والظلم في المجتمع . من قصائده الشهيرة " ذكرى " و "الجبال " ، وقد ترجمت القصيدتان إلى العربية ، ومن مقاطع القصيدة الأولى قوله :

" تأمّل روح شعبنا
لم ننهر ضيفا عزيزا
تذكرت فتياتنا المخطوبات
وهن يضفرن شعرهن قبل اللقاء " .

وفي الثانية يقول في بعض مقاطعها :

" حللت ضيفا في هذه الدنيا
سيذهب عمري يوما هباء
وسيتذكر جبالنا الوفية
(فورغون) يوما " . (36)

لقد قال عنه النقاد إنه " ندّد في أدبه تنديدا قاضيا بالعبودية والتفرقة العنصرية ، ليصبح شعره وثيقة ذات قوة عظيمة تمزق الأقنعة " . (37) من أهم أشعاره التي ترجمت هذه المعاني ، معتمدا فيها على أسلوب القصّ الشعري ، قصيدته المشهورة " أماني الزنجي " ، حيث يقول :

" مال على الكرسي ولم يتكلم ، وصمت بعض الوقت

وقطب حاجبيه الأسودين ، واستغرق في التفكير
(أحيانا تشهر البطولة السيف بوقار صامت
وأمامها يحني كل العالم رأسه ، ويركع ساجدا)
القاعة في دهشة ، والصمت يسود أرجاءها
والزنجي الأسود على المنصة ، وألف عين تتطلع إليه .
إن هذا المنظر الذي أشهده لوحة شاعرية ،
وفي تلك العيون الساهمة أقرأ شتى المعاني ! "

إن (الزنجي) هنا يجسد دلالات الإنسان المعاني المأزوم ، المقهور ، دونما محدودية الزمان والمكان في تصويره ، والتعبير عن حالة المواجهة التي يعيشها ، وتحركه من أجل كسر قيود العبودية والقهر والإذلال التي يعيشها .

ضمن هذا الإطار يواصل تصوير (الزنجي) – الحالة والقضية – ، فيقول :

" الزنجي ساهم ، والقاعة في صمت ، وكأن جميع الوجود
يصغي إليه ، يا قارئي ، وانظر بإمعان ،
أترى كيف تشع عيناه للحظة ،
وقد تفتحت ملحمة الحزن في وجهه ، صفحة صفحة ،
إذا بقيت جائعا ، عطشان ، في أيام سفره ،
أطالع في النظرات كلمتي (إنك أسود)
ألا قولوا : كيف أتحمل هذا مدى العمر ؟ "

ثم يتابع تصوير حالة (الزنجي) في لوحة إنسانية شاملة وعميقة ، فيقول :

" فهكذا يملي الحكم الأسود للقوانين ، منذ أمد بعيد
زيارة المدن محظورة على السود

أجل ! قال الزنجي الأسود ، الوطن غربة لي ،
وهذه الفرقة والمحنة ، هي التي شيبتني قبل الأوان ! " .
ثم تنطلق لغة (فورغون) بحس ثوري نابض ، فيصرخ :
" إن منارنا لن ينطفئ حتى وسط العواصف
إن السهام المنطلقة من أقواسها لن ترتدّ ثانية !
إنني أرى ! كيف استيقظ أبناء الشرق العريق ،
وكيف تلونت بالدماء الرايات المثقوبة
إن أهرام مصر القديمة لا تحني الرأس أمام الجلادين
والأمسيات الغريبة تمزق ثوب المأتم
وكلما دارت شمس الربيع على قمم همالايا
وسالت الأنهار الثلجية ، وتعكرت الأنهار المتدفقة ،
يتصاعد دخان المدافع من بين الغابات الكثيفة ،
ويغلي الدم كالينبوع في جراح الشجعان " . (38)

ومن شعراء الواقعية الجديدة أيضا (سليمان رستم) ، الذي عالج فكرة الحرية الإنسانية في أشعاره ، والدعوة للثورة من أجلها ، وقد كان من الشعراء الأذريين الأكثر قربا لمعاناة الشعوب العربية المأزومة ، المعانية تحت نير الاستعمار ، المناضلة من أجل حريتها واستقلالها ، إذ كان ينظر بتوحد بين قضيتي شعبه والشعوب العربية ، ولهذا كتب واحدة من أهم قصائده ، يعالج فيها هذا الجانب ، وهي بعنوان " إلى أصدقائي العرب " ، يحثّ العرب فيها ، في بدايات القرن العشرين ، على الثورة والنضال من أجل حريتهم ، واستقلالهم ، وحياتهم الكريمة يقول في مقطع منها :

" كلما استيقظت بلاد الشرق
شطب القلب على الهموم
وأوتاره ترن كالكمان

وتردد النغمات من الفرحة " .

ثم يجئ الخطاب للعرب المناضلين جميعهم بلغة شفافة جميلة ، فيقول :

" بأي لون تكونون

فأنتم أشقائي الأعزاء في الدنيا

وليتطهر دربكم من الأشواك ،

عندما ألقيتم بقيود العبودية ،

قذفت بقبعتي إلى الهواء فرحا .

وعندما سحقتم رؤوس الأعداء ،

رفعت الكأس نخبكم " . (39)

وفي قصيدته " اخلق ثورة " تتضح دعوته المباشرة للثورة على الظلم والقهر والاضطهاد وتبدو لغته الشعرية ذات دلالات إنسانية واضحة ، فخطابه الشعري يكسر قيود الزمان والمكان في دلالته . يقول :

" انظر الموسم عندنا ربيع ، والورود تضحك

فقل : لم تذرف الدموع من عينيك ؟

واسمع ، كيف ينعق البوم في وطنك ؟

إن كنت تبغي انتزاع حقك ، فهيا ،

واخمد صوته ، واقتله ، حتى لا ينعق قط " .

ثم تجئ صرخته مدوّية :

" كن ثوريا ، كن ثوريا ، ثوريا ،

إن قنديل الشرق الذهبي منطفئ ، فأشعله !

قف ، ولا تبك ، وامسح دموعك ، وتجلّد ،

واخلق ثورة ، اخلق ثورة ، اخلق ثورة ، ثورة !

إن تحطيم القيود ، وبلوغ طريق الحق العظيم ،

لن يتمّ إلا بالثورة ، بالثورة ". (40)

ومن شعراء الواقعية الجديدة أيضا (رسول رضا) المولود في عام 1910م – 1331هـ . طبعت مجموعته الشعرية الأولى في عام 1927م – 1348هـ ، وقد أصدر ما يقارب الخمسين كتابا في إبداعات متعددة ، شعرا ونثرا . من قصائده ذات الحسّ الإنساني العميق قصائده "المأوى " و " يا لها من دنيا " و " أن تكون أو لا تكون " ، وقد ترجم في أشعاره كلها روح الثورة ، ودعوة الإنسان المقهور للتحرك من أجل حريته واستقلاله .

اعتمد (رضا) في شعره الثوري الأسلوب القصصي أيضا . يقول في إحدى قصائده التي جسدت هذا المعنى بشكل مباشر :

" الفيل الهرم يسير في شارع " جايبور " ،
إنه أكبر من السائس بكثير ،
وأقوى بمرات .
والحمل الذي على ظهره ،
يستنفذ عمره ساعة ساعة ، وعصرا عصرا ،
إنه يسير صامتا لا يتكلم ،
وزمامه في يد السائس .
وأقول في نفسي : إنها الطاعة ،
القابعة في قاعدة العبودية ،
أقدمها ، وأحدثها " .

ثم يتابع قوله بشكل مباشر بعيد عن التعقيد :

" وإلا
فمن السهل للفيل أن يلفّ السائس بخرطومه
ويعصره عصرا
هذا الفيل الذي
تترك أقدامه آثارها على الإسفلت

لولا الطاعة ،

والعبودية " . (41)

إن (رسول رضا) من الشعراء الذين يعتمدون على لغة سهلة ، من حيث ألفاظها ودلالاتها ، وعلى الأسلوب القصصي ، كما ذكرت من قبل ، من ذلك قوله :

" لست أريد ،

لست أريد

أن أظلّ في الصفوف الخلفية ،

أودّ أن أضحك من القلب

وأفرح من الأعماق ،

وأحتضن من أحبهم من الناس

بحرارة

ومن ثم إذا اقتضى الأمر ،

أريد أن أموت

كشجرة بلوط ضخمة تصدعت في العاصفة ،

وتقطعت جذورها " . (42)

وفي صورة إنسانية تمسّ جوانب اجتماعية وفكرية على مستوى كبير من الأهمية وإن نقلها في قالب من تجسيد الطبقية في مجتمع – أي مجتمع – قد يفقد فيه الإنسان إنسانيته ، في طل إلغاء ذاته وكينونته . يقول في قصيدة له بعنوان " المأوى " :

" المآوي تكون مختلفة

فثمة عش للطير

وربع للإنسان وحظيرة للحيوان
وبين المنازل
ما هو رخيص
أحيانا ،
ثمة منزل مفروش بالسجاجيد ،
وأحيانا ... كوخ أرضيته تراب
وأحيانا
يكون مآوي للمرء
الركن الذي لا يتسع لأكثر من قدمين
تحت وابل الرصاص " .

وفي الإطار نفسه يعبّر في إحدى قصائده في قالب لغوي ذي دلالات نفسية ، تبعث على التأمل والتفاؤل ، إذ يقول :

" تدقّ الساعة ... تك ، تك
وتسقط في الأبدية
لحظات العمر التي لن تعود
ويأخذ الزمن البشر
إلى الأبعاد التي لم يعد منها
أحد حتى اليوم
تطلع إلى الدنيا
طالما لم يفت الأوان
وإن لم ترتو من النظر
ضع حجرا على جدار
واستنشق عبير زهرة
(ومشّط) شعرك

بنسيم الصباح العذب " .

إن شعراء الواقعية الجديدة في أذربيجان اتخذوا ، فيما رأينا ، الإنسان محورا لاهتمامهم ، بوصفه قضية وفكرة وحالة بالمقام الأول ، فهو مصدر الموت الذي يفرضه النضال والثورة التي نادى بها هؤلاء الشعراء ، والمبدعون بعامة ، باعتبار الموت غير المجاني عندهم ، رمزا ودلالة لحياة أفضل ، أو هو جسر العبور لحياة أكثر إشراقا وألقا وسعادة للإنسان ، كما أنهم ركّزوا على محاور الأمل والتفاؤل اللذين عبّروا من خلالهما عن الحسّ الإنساني ، باللغة الواقعية والنفسية ، من أجل الكشف عن مكنون الإنسان المناضل والثائر في سبيل حريته وأمنه وأمانه ، تجاوزا للصراع الطبقي ، الذي قد يحيا في كنفه ، في أطر من القهر والإذلال ، والتأزم والمأساوية . ولعل أسمى ما يمكن أن يسجل لبعض هؤلاء الأدباء والشعراء بهذا الصدد من دور ، هو أنهم وسّعوا من دائرة رؤيتهم لتأخذ سمة الإنسانية ، والحسّ الشمولي المطلق .

هوامش البحث

1. محاضرات حول أذربيجان . تاريخها وآدابها . د. إمام وردي حميدوف . باكو . ط1 1996م ص2 .
2. الإسلام والثقافة الأذربيجانية . د. رفيق عليبوف . دبي . ط1 1996م ص13 .
3. هو أبو محمد إلياس بن يوسف نظامي كنجوي . ولد في عام 1141م في مدينة قنزة –كنجة – الأذرية ، وتوفي في عام 1209م .
4. هو محمد فضولي وعرف باسم فضولي البغدادي ، كان مولده في عام 1498م ، بينما كانت وفاته في عام 1556م . لقب بأمير الشعر التركي القديم .
5. في الأدب الإسلامي . فضولي البغدادي . أمير الشعر التركي القديم . د. حسين مجيب المصري . دار الفكر للطبع . القاهرة . ط1 1967م ص9 .
6. الإسلام والثقافة الأذربيجانية . د. رفيق عليبوف . مرجع سابق . ص28 .
7. المرجع السابق . ص39 ، ص40 .

8. الرمز والسيريالية . إيليا حاوي . دار الثقافة . بيروت . ط1 1980م ص36 .
9. أعلام معاصرون من الشرق والغرب في الفكر والأدب . د. محمد زكي العشماوي . ندوة الثقافة والعلوم . دبي ط1 1993م ص42 .
10. الأدب الأذري . د. نصر عباس و د. فاطمة الزهراء الموافي و د. إمام وردي حميدوف . ط1 2003م ص33 .
11. سوسيولوجيا الفن . جان دوفينيو . ترجمة هدى بركات . منشورات عويدات بيروت . ط1 1983م ص42 .
12. سوسيولوجيا الأدب . روبير سكاربيت . ترجمة أنطوان عرنوني . منشورات عويدات .بيروت . ط1 1978م ص26 .
13. نظريات الفولكلور المعاصرة . د. دورسون . ترجمة د. محمد الجوهري و د. حسن الشامي . دار الكتب . القاهرة . ط1 1972م ص12 .
14. الشعر والبيئة في الأندلس . د. ميشال عاصي . منشورات المكتب التجاري بيروت . ط1 1970م ص17 .
15. عاش بين عامي 1717م و1797م ، وعرف بشعر القوشما .
16. البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة . د. نصر عباس . دار العلوم . الرياض . ط1 1983م ص23 .
17. الأيادي الوردية . أشعار الشعراء الأذربيجانيين . دار النشر الأذربيجانية . باكو . ط1 1964م ص168 .
18. المرجع السابق . ص17 .
19. دراسات في الأدب المقارن . د. بديع محمد جمعة . دار النهضة العربية . بيروت . ط2 1980م ص309 .
20. مختارات من الشعر الفارسي . د. محمد غنيمي هلال . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . ط1 1965م ص359 .
21. المرجع السابق . ص340 .
22. المرجع السابق . ص270 .
23. الأدب الأذري . مرجع سابق . ص133 .
24. الأدب الأذري . مرجع سابق . ص134 .

25. صابر (ميرزا علي أكبر صابر) . محمد جعفر جعفروف . دار النشر الأذربيجانية . باكو . ط1 1962م ص8 .
26. ملاّ بناه واقف . أراز داداش زادة . دار النشر الأذربيجانية الحكومية . آذر نشر . ط1 1968م ص20 .
27. المرجع السابق ص24 .
28. دراسات في الواقعية والواقعية الاشتراكية . مرجع سابق . ص16 .
29. المرجع السابق . ص17 .
30. الفن والمجتمع عبر التاريخ . أرنولد هاوزر . ج2 . بيروت . ط1 ص 394 .
31. شولوخوف . من نهر الدون إلى جائزة نوبل . عبد المنعم صبحي . القاهرة . ط 1 ص28 ، ص29
32. مجلة الطليعة . د. غالي شكري . (نقلا عن كتاب " الأدب والحياة " لجوركي) . بيروت . ص148 .
33. المعجم الفلسفي السوفييتي (بالإنجليزية) . بيروت . ط 2 1964م . ص379 ، 380 .
34. مذاهب النقد الأدبي . د. محمد مندور . القاهرة . ط3 1966م . ص36 ، ص37 .
35. الأيادي الوردية . أشعار الشعراء الأذربيجانيين . مرجع سابق . ص171 .
36. المرجع السابق . (والترجمة للشاعر العراقي التركماني عبد اللطيف بندر أوغلي) . ص176 .
37. مطلع الاعتقاد والقصائد العربية . عبد اللطيف بندر أوغلو . بغداد . ط 1 1974م ص12.
38. الأيادي الوردية . مرجع سابق . ص177 .
39. المرجع السابق . ص178 .
40. قصيدة (اخلق ثورة) المرجع السابق . ص 182 .
41. المرجع السابق . ص 202 .
42. المرجع السابق . ص 206